Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخاض الأدب صراع المذاهب ، فى ذلك العالم الواسع العريض المائج المزدحم . وكان سلاحاً فى معترك الطوائف والأحزاب والطبقات والملل والنحل ، لكن أكثر تراثه قد ضاع فى الغمار ، فشعر الزنادقة طُوى إلا قدراً ضئيلاً أفلت من الضياع ـ على أيدى مَن تصدوا للرد على الملحدين والزنادقة ، فحفظته كتبهم من حيث يدرون أو لا يدرون[١] . وشعر الصوفيين لم يجد مكاناً فى كتب الأدب ، ولولا أن كتب التصوف وطبقات الأولياء حفظته، لضاع فيما ضاع من آثار أدبية، لم يلتفت إليها النقاد ، لأنهم غُلبوا على أمرهم، فلم يحتفلوا إلا ببضاعة القصور ، ولم يهتموا إلا بما اتصل بالسياسة من قريب أو بعيد [٢].

وحسبنا أن نقرأ قولهم : إن « أبا تمام ، والبحترى ، أخملا فى زمانهما خمسمائة شاعر ، كلهم مجيد »[٣] لندرك فداحة الطغيان الأدبى ، الذى فرضه ذلك الوضع .

* * *

والأمر فى مصر والمغرب الأفريقى ، شبيه بهذا : دارَ الأدبُ فى فلك السياسة وازدهر منه فى البلاط الأموى بالأندلس ، والفاطمى بالمغرب ومصر ، ما يحظى بتشجيع الخلفاء . ولمعت فى الأفق نجوم المداحين والمتزلفين والمغامرين الذين اتصلت أسبابهم بالحكام أو خاضوا معترك السياسة ، حتى إذا غربت شمس الفاطميين ـ أمسك الشعراء معازفهم ، التى غنّت للمعز الفاطمى :

ما شئتَ لا ما شاءت الأقـــدار فاحكم فأنت الواحـــد القهـــار

وراحوا يغنون للأيوبيين من بعدهم :

ألستُم مُزيلى دولةِ الكفر من بنى عبيدٍ بمصرٍ ؟إن هذا هو الفضلُ
زنادقـــةٌ ، شـــيعية ، باطنية مجوس،وما فى الصالحين لهم أصل

---

(١) فى القسم الثانى من (رسالة الغفران) إضاءة لهذا الموقف ، واقرأ معه فصل الزندقة من كتابى (الغفران : دراسة نقدية) ط المعارف .

(٢) عالجت هذا الموقف بمزيد تفصيل فى مقال « رابعة العدوية : أديبة شاعرة » بالعدد الثانى من (حولية كلية البنات ، جامعة عين شمس) .

(٣) ابن رشيق : العمدة ١/٦٤ .